أصول تأليف السيرة النبوية في شبه القارة الهندية (دراسة تحليلية)

Principles of Writing the Prophetic Biography (Sirah) in the Indian Subcontinent

د.عبدالمجيد بغدادي

رئيس قسم اللغة العربية

جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد

Abstract

The Prophetic biography (Sīrah) in its missionary dimension represents the primary source for understanding the message of Islam and the means of conveying it, as it is the practical application of the objectives and rulings of the Sharīʿah. Scholars of the Muslim Ummah, throughout the ages, have paid great attention to highlighting the missionary aspects of the life of the Prophet ﷺ. However, this aspect did not always receive sufficient independent treatment in the works of the traditionists, jurists, and historians; rather, it remained scattered throughout their writings without being allocated a dedicated chapter. With the developments of modern times and the growing intellectual and cultural challenges facing the Muslim Ummah, the need has become greater to re-examine the Prophetic biography through a missionary and analytical lens—deriving from it the methods and principles established by the Prophet ﷺ in his call to Allah—so that it may serve as a guiding light for Islamic movements and a source of inspiration for reformers and preachers in our contemporary reality.

Scholars of the Indian Subcontinent made a distinguished contribution in this field. They did not confine themselves to narrating the events of the Sīrah as mere historical accounts; rather, they endeavored to uncover its educational and missionary dimensions and to connect them with the condition and needs of the Muslim Ummah. Hence, this study, entitled "The Method of Indian Subcontinent Scholars in Writing the Missionary Prophetic Biography: An Analytical Study of Principles and Approaches", aims to elucidate the nature of this methodology, its intellectual foundations, and its distinctive features.

Keywords: Prophetic Biography, Daʿwah, Indian Subcontinent, Islamic Scholarship, Methodology, Principles, Approaches

تمهيد

تمثّل السيرة النبوية الدعوية المنبع الأصيل لفهم رسالة الإسلام ووسائل تبليغها، إذ هي التطبيق العملي لمقاصد الشريعة وأحكامها. وقد اعتنى علماء الأمة قاطبة ببيان الجوانب الدعوية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أنّ هذا الجانب لم يحظ دائمًا بالعناية الكافية في مؤلفات المحدثين والفقهاء والمؤرخين، بل ظلّ مبثوثًا بين طيات مصنفاتهم، دون أن يُفرَد له بابٌ مستقل. ومع تطورات العصر وتزايد التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه الأمة الإسلامية، تعاظمت الحاجة إلى إعادة قراءة السيرة النبوية قراءة دعوية تحليلية، واستخراج الأساليب والأصول التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله، حتى تكون نبراسًا للحركات الإسلامية، ومصدر إلهام للمصلحين والدعاة في واقعنا المعاصر.

وقد كان لعلماء شبه القارة الهندية إسهام بارز في هذا الباب، إذ لم يكتفوا ببيان أحداث السيرة سردًا تاريخيًا، بل سعوا إلى استجلاء الجوانب التربوية والدعوية منها، وربطها بواقع الأمة واحتياجاتها. ومن هنا تأتي هذه الدراسة بعنوان: "منهج علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية الدعوية: دراسة تحليلية في الأصول والأساليب"، لتبيّن طبيعة هذا المنهج، وأصوله الفكرية، وسماته المنهجية.

إنَّ دراسة السيرة النبوية في بعدها الدعوي تستند أوّل ما تستند إلى الأساس القرآني والنبوي، حيث جعل الله تعالى وظيفة الرسل عليهم السلام الدعوةَ إلى الخير، والتحذيرَ من الشر، وتعريفَ الناس بحقيقة الحياة ومعناها وغاياتها، وتعليمَهم أساليب العيش الرشيد وأصول العمران البشري. قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ([1])

وقد خُتمت هذه السلسلة المباركة ببعثة سيّدنا محمد ﷺ، الذي جعله الله خاتم النبيين، فكانت لرسالته جهتان متكاملتان:

بعثة خاصة: موجَّهة إلى العرب، وقد نهض النبي ﷺ بنفسه بأعباء التبليغ والدعوة وإقامة الحجة عليهم. وبعثة عامة: موجهة إلى العالمين كافة، وقد أناط الله تعالى تبليغها واستمرارها بالأمة المحمدية، آمراً لها أن تحمل هذا الدين إلى الناس جميعًا بالمنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ.

قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ([2])

ومن هذا المنطلق، الاهتمامُ بالسيرة النبوية عند علماء الأمة على استجلاء هذا البعد الدعوي، وتجلية معالمه، وتوظيف دروسه في بناء الأمة وهدايتها. وكان لعلماء شبه القارة الهندية إسهامٌ وافر في

هذا المضمار، إذ تناولوا السيرة النبوية بالبحث والكتابة، وركّزوا على أبعادها التربوية والدعوية، فجاءت مؤلفاتهم شاهداً على عمق منهجهم وغزارة عطائهم.

يتّضح من نصوص القرآن الكريم وتعاليم رسول الله ﷺ أنّ الدعوة إلى الله والتبليغ هي المسؤوليةُ الأصيلة لهذه الأمّة، ولذلك أوجبها العلماءُ على الأمّة الإسلاميّة، واعتبروها فرضًا لا غنى عنه. فلم يخلُ عصرٌ من العصور، من السلف إلى الخلف، من عالِمٍ يُؤكّد أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أساس الدين وركنٌ متين من فرائض الأمّة.

وإذا كانت الدعوة والتبليغ من صميم رسالة الأمّة، فإنّ القدوة المثلى في ذلك إنما هي سيرة رسول الله ﷺ، ولذلك كان الدعاة والمصلحون على مرّ العصور ينهلون من سيرته العطرة، ويقتبسون من مناهج دعوته، وقد حرص أئمة السيرة كذلك على إبراز الجوانب الدعوية في مرحلتي مكّة والمدينة. وقد سلك أئمة السيرة في الكتابة ثلاثة مناهج رئيسة:

1 .المنهج الزماني: وهو أن تُعرَض السيرة النبويّة وفق تسلسلها الزمني، مبتدئين بالولادة والشباب، ثم البعثة والهجرة، حتى الوفاة. وهذا هو الغالب على المصادر القديمة، كما نجده رائجًا في أدب السيرة باللغات الإسلامية ومنها الأردية.

2 .المنهج الوصفي: وفيه تُعرض السيرة النبوية بما يُظهر شمولها وعمومها وخلودها، مبرزةً خصائص الرسالة وعالميتها.

3 .المنهج الموضوعي: وهو التركيز على جانبٍ محدَّد من حياة النبي ﷺ، كالغزوات، أو النظام الدعوي، أو الجانب السياسي، أو التشريعي، أو غير ذلك.

وقد عُدّ هذا المنهج الأخير ـ أي الموضوعي ـ من أبرز اتجاهات السيرة في العصر الحديث، ولا سيما ما يتعلّق بدراسة مراحل الدعوة النبوية ومناهجها وأساليبها، حتى أصبح من أهم ميادين البحث في السيرة النبوية.

وفي القرن العشرين على الخصوص، أولى المفكرون والمربّون والدعاة المرتبطون بالحركات الإسلامية هذا الاتجاهَ عنايةً بالغة، فخصّصوا دراسات معمّقة لمراحل الدعوة النبوية وأساليبها، كما تناولت الكليات الشرعية وأقسام الدعوة والإرشاد في الجامعات الإسلامية هذه الموضوعات في رسائلها العلمية ومقرراتها الأكاديمية. وقد صدرت في هذا الباب مؤلفات كثيرة باللغتين العربية والأردية، تُمثّل هذا الاتجاه بجلاء.

وسيحاول هذا البحث أن يعرض ـ في ضوء هذا السياق ـ أهمَّ المؤلفات التي تناولت السيرة النبوية من منظور دعوي، مبرزًا خصائصها ومناهجها، وذلك وفق التفصيل الآتي:

(أ) دوافع دراسة مناهج الدعوة في السيرة النبوية وعواملها.

(ب) مراجعة الكتب المؤلَّفة في مراحل الدعوة النبوية ﷺ

(ج) مراجعة الكتب المؤلَّفة في مناهج وأساليب الدعوة النبوية ﷺ

(د) قائمة الكتب المؤلَّفة في مراحل ومناهج الدعوة النبوية ﷺ

محرّكات دراسة المنهج الدعوي في السيرة النبوية وعوامله

1- أهمية الدعوة والتبليغ

إنّ من أبرز المصطلحات التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية بشأن الدعوة إلى الدين لفظ "الدعوة". فقد ورد هذا اللفظ (من مادة: دعو) في القرآن الكريم في مئتين وثماني مرات بصيغٍ وهيئات مختلفة ([3])، منها أربع وأربعون موضعًا استُعملت للدلالة على الدعوة إلى الله تعالى ودينه.

وكذلك ورد لفظ التبليغ، إذ تكرّر في القرآن الكريم من مادّته نحو ثمانٍ وسبعين مرة، منها قرابة الثلث (أي سبع وعشرون مرة) في معنى تبليغ الدين ومفهومه.([4])

كما جاءت ألفاظٌ ومصطلحات أخرى تحمل دلالاتٍ قريبة، مثل: الهداية، النصيحة، الوصية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذكر، الشهادة على الناس، إظهار الدين، وجميعها تنطوي على معنى الدعوة إلى الخير والإصلاح والحثّ على البرّ. ومن هنا فإنّ تبليغ تعاليم الدين وأحكامه إلى الناس ينبغي أن يكون بجهدٍ مقرونٍ بالحكمة، ومشحونٍ بالمحبّة والألفة، مؤيَّدٍ بالفصاحة والبلاغة، حتى يصل إلى العقول والقلوب معًا. وهذا هو جوهر الدعوة، وحقيقة التبليغ.

وفي هذا السياق جاء الأمر الإلهي باستمرار هذه المهمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ([5]) وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ([6]) وقال أيضًا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ([7])

وقد أوصى رسول الله ﷺ كذلك بأداء رسالة الدعوة والتبليغ، فقال: نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ([8]) أي: نوَّر الله وجهَ من سمع منّا كلمةً فبلّغها كما سمعها، فكم من حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه.ولا ريب أنّ فلاح الأمّة في دنياها ونجاتها في أخراها إنما تكمن في اتباع منهج رسول الله ﷺ، والتمسك بسنّته وهديه. والتاريخ شاهد على أنّ هذه الأمّة ما دامت مرتبطةً برسالتها وقيامها بواجب الدعوة إلى الله حازت العزّة والتمكين، وما إن قصّرت في هذا الفرض العظيم وغفلت عنه حتى أصابها الوهن والضعف والزوال.

إنّ حياة الأمّة وبقاءها رهينان بالدعوة، غير أنّ المؤسف أنّ العناية بهذا الشأن لم تكن على المستوى اللائق. بل إنّ بعض المفكّرين المعاصرين يرون أنّ: أئمة المسلمين ومجتهدين لهم لم يُولوا الدعوة العناية الكافية في تراثهم الفكري، حتى إنّه لا يوجد في كتب الحديث والفقه والتاريخ بابٌ مستقل باسم الدعوة، ولا أُلِّفت كتب خاصة بها.([9]) "

غير أنّ إدراك هذه الأهمية في العصر الحديث دفع عدداً من كتّاب السيرة إلى توجيه أنظارهم إلى هذا الجانب، فاستلهموا من سيرة رسول الله ﷺ الدعوية ما أغنى أدب السيرة، وأمدّه بعُمق وفهم وبصيرة.

2 –القدوة والنموذج للحركات الإسلامية الدعوية والإحيائية

بعد سقوط الخلافة العثمانية في مطلع القرن العشرين، تسلّطت القوى الاستعمارية على العالم الإسلامي، واجتاحت الأفكار والنظريات الأوروبية عقول المسلمين، فانخدع بها كثير منهم. وأخذت المجتمعات الإسلامية، وبخاصّة الشباب، تنجذب إلى بريق الحضارة الغربية ومظاهرها، حتى وقعت معظم البلاد الإسلامية في براثن التبعية الفكرية والعملية للأجنبي.

ومع هذا الانحطاط السياسي والاقتصادي والثقافي والديني، ابتعد الجيل الجديد عن الشعائر الدينية والتقاليد الإسلامية. فألغت القوى الاستعمارية نظام الحكم الإسلامي وأقامت مكانه أنظمةً استعمارية، وأشعلت نيران العصبية للّون والجنس والقومية والوطن واللغة والإقليم، فمزّقت وحدة الأمة الإسلامية الجامعة، فإذا بالأمة الواحدة تتفرّق شيعاً وأحزاباً.

ومع وجود كتابٍ واحدٍ، وقرآنٍ واحدٍ، ورسولٍ واحدٍ صلى الله عليه وسلم، تفشَّت في الأمة الإسلامية عوامل التفرقة والفساد، واشتعلت نيران الخصومات والعداوات، حتى عمّت الحروب والجدالات، وترسَّخ البغض والكراهية بين أبنائها. وفي ظلِّ هذه الأجواء القاتمة تعاظم نفوذ الإلحاد واللادينية، وتنامى سلطان النصرانية والصهيونية، فامتد أثرُها إلى مجالات التشريع والثقافة والتعليم والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية، فأخذت كل هذه الجوانب تصطبغ باللون الغربي. بل أصبحت العربية وآدابها، والشريعة الإسلامية، والتقاليد الحضارية للأمة في مرمى المؤامرات المنظمة التي ترمي إلى طمس الهوية، وإلغاء الشخصية القومية والملية.

وفي هذا المناخ المضطرب نهض الغيورون على الإسلام، فانطلقت في العالم الإسلامي حركات دعوية وإصلاحية تحمل همَّ النهوض بالأمة وتجديد حياتها، فرفعت لواء الدعوة والتجديد، وسعت إلى توجيه الأمة فكريًا وعمليًا، وإلى بثِّ الثقة والاعتزاز بالذات، وإحياء روح الاستقلال والإباء. كما جعلت من إحياء الأمة وإقامة الدين برنامجًا عمليًا لها.

لقد أدركت هذه الحركات ما يهدد الإسلام وحضارته من مخاطر، ففضحت خواء الحضارة الغربية وزيفها، وواجهت تيارات الإلحاد واللادينية، وكشفت عن ظلم النظامين الشيوعي والرأسمالي، وبيَّنت للإنسانية جمعاء أن الإسلام بما يحمل من قيم وتعاليم هو النظام الأكمل للحياة. كما أبرزت مكانة التعليم الإسلامي، وأحيت قيم الوحدة والتضامن بين المسلمين، وربطت الأمة بروابط الحرية والجهاد، والتزكية الروحية، والأخلاق الرفيعة، والعمل الخيري ،والاجتماعي.

ثم قدّمت تصورًا متكاملًا عن نظام الحياة الإسلامية، يربط بين كل جوانبها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصاغت ذلك في ضوء احتياجات العصر ومتطلباته. وأثبتت بأدلة عقلية وعلمية أولوية الإسلام وفوقيته على سائر النظم، وردّت ردًا قويًا على مطاعن الغرب والمستشرقين في الإسلام وفي شخصية النبي صلى الله عليه وسلم. ولم تقتصر جهودها على مؤلفات متخصصة دقيقة، بل وضعت كتبًا ميسّرة تخاطب الجماهير عامة، تكشف عن واقعية الرسالة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

وقد بدأت هذه الحركات أول ما بدأت بتربية الفرد والمجتمع، مع العناية ببيان النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي والروحي في الإسلام، واتخذت في مناهجها الدعوية والتربوية القدوة النبوية منهلًا لا ينضب. وكيف لا، وقد أمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ ([10])

فهذه الآية الكريمة تدلُّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه أتباعه الصادقون، قد اضطلعوا بأمانة الدعوة إلى الله على بصيرة ووعي كامل.

وقد كانوا يؤدّون هذا الواجب على أكمل وجهٍ، وهو في الحقيقة شهادة من الله تعالى بأن النور والبصيرة التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء هذه الرسالة قد شملَت أيضًا تلك الجماعة المباركة التي ناصرت النبي صلى الله عليه وسلم وشاركت في حمل عبء الدعوة معه. والحق أن أداء هذا الواجب لا يمكن أن يضطلع به أيُّ فريقٍ أو جماعةٍ ما لم يكن مسلّحًا بالبصيرة والوعي العميق. وانطلاقًا من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنّته، أعدّت الحركات الإسلامية الدعوية أدبياتٍ إصلاحيةً استضاءت بسيرته العطرة، ولا سيما مراحل حياته المكية والمدنية التي كانت مليئة بالتجارب الدعوية الغنية.

3 –الدعوة: القوة الحقيقية للإسلام

لقد كانت الدعوة على مرِّ العصور هي القوة الحقيقية للإسلام، ومصدر عزّته وغلبته. وإنه من حسن الطالع أن الفرص المتاحة اليوم لإحياء العمل الدعوي قد ازدادت بشكل غير مسبوق. فقد

أثبتت الدراسات المقارنة للأديان أن الإسلام وحده هو الدين الحق الذي يمتاز بالثبات والخلود والشمولية، في حين أن سائر الأديان قد تهاوت مصداقيتها، بل وفقدت أصالتها التاريخية. ومن هذا المنظور، اهتم المستشرقون بدراسة تاريخ الدعوة الإسلامية، كما نشأت في العالم الإسلامي مؤسسات علمية وبحثية متخصصة جعلت موضوع الدعوة، وأصولها، وأساليبها، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم الدعوية، محورًا لدراساتها وبحوثها.

وقد أنتجت الجامعات العربية ووزارات الدعوة والإرشاد تراثًا دعويًا واسعًا في هذا المجال ([11]). كما أن المسلمين المقيمين في الغرب أسّسوا مراكز وأكاديمياتٍ دعوية، تجمع بين إعداد المواد العلمية والتثقيفية وتدريب الأفراد، ليكونوا قادرين على تبليغ رسالة الإسلام في المجتمعات غير المسلمة ([12]).

4 –الرسول صلى الله عليه وسلم داعيًا

لقد وصف الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بصفات الداعي في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ([13]).وقال عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ([14]).

فهاتان الآيتان الكريمتان تُبرزان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد حامل رسالة، بل كان داعيًا إلى الله بإذنه، قائمًا بوظيفة البلاغ، جامعًا بين الشهادة والتبشير والإنذار، مضيئًا للناس طريق الحق كسراج منير.

5 .منصب النبوة والدعوة في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم توضيح مقاصد منصب النبوة، رسالة الدعوة، مراحلها، حكمة الدعوة، أصولها، ردود الفعل المحتملة، أسباب المعارضة ومحركاتها، وأسس نجاح الدعوة. ومن هذا المنطلق، فقد أتاح الاتجاه الجديد في دراسة السيرة النبوية في العصر الحاضر، بالاعتماد على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، إبراز الجوانب الدعوية في حياة النبي ﷺ بشكل أعمق وأكثر وضوحًا.

لقد امتثل النبي ﷺ لأمر الله تعالى، فوصلت دعوته إلى العرب والعجم، وقدم النموذج العملي لجميع مراحل الدعوة، وبيّن الأصول الدعوية التي تشكل مرشدًا عمليًا لكل من يسير على طريق الدعوة الإسلامية. وقد أمر الله الأمة باتباع هذا المنهج فقال :قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ([15])

تُبيّن دراسة السيرة الدعوية للنبي ﷺ ما يلي:

أ. صفات الداعية وشخصيته:

يجب أن يكون الداعية نموذجًا في العلم والمهارة، وفي الأخلاق والسلوك، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين.

يجب أن يكون واعيًا بطبيعة الرسالة الدعوية، والجمهور المستهدف، وظروف المدعوين، ومعرفة أحوالهم.

ب .وسائل وأساليب الدعوة:

التعرف على الوسائل والأساليب الفعالة كما طبّقها النبي ﷺ في حياته الدعوية.

دراسة هذه العناصر تساعد على فهم المحفزات والعوامل الأساسية للنجاح الدعوي.

6 .مراجعة كتب السيرة حول مراحل الدعوة النبوية

ابتداءً من الإمام ابن اسحق (767–704 ء) وابن هشام (833 ء) وصولًا إلى علماء العصر الحاضر، اهتمت كتب السيرة بدراسة مراحل الدعوة النبوية. وقد ركز الباحثون على

: مرحلة الدعوة السرية: كيفية بدء الدعوة بأسلوب مدروس.

مرحلة الدعوة العلنية: أساليب التواصل مع المجتمع، وتحمل المعارضة والمقاومة.

مرحلة التأسيس والتنظيم: تنظيم الدعوة، بناء الكوادر الدعوية، وتوضيح المبادئ العملية التي يمكن للأمة اتباعها.

لقد أظهرت هذه الدراسات أن السيرة النبوية تُعد نموذجًا عمليًا للداعية، ومن خلالها يمكن استخلاص الصفات والدروس العملية التي يجب أن يتحلى بها الداعية في مختلف الأزمنة والمجتمعات.

7 .مراحل الدعوة النبوية

يتناول جميع علماء السيرة بعد بعثة النبي ﷺ الدعوة والإرشاد النبوي، ويقسمون عادةً العهد المكي للدعوة إلى عدة مراحل. ويذكر معظمهم ثلاث مراحل رئيسية للدعوة:

1 .الدعوة السرية: امتدت ثلاث سنوات، حيث بدأ النبي ﷺ بالدعوة بشكل خفي.

2 .دعوة ذوي القربى: توجيه الدعوة إلى أقرباء النبي ﷺ.

3 .الدعوة العلنية أو العامة: دعوة عامة تشمل قريش وبقية الناس.

وقد أشار بعض السيرة إلى هذه المراحل بشكل موجز ([16])، إلا أن العلامة ابن قيم الجوزية كان أول من وصف مراحل الدعوة النبوية بخمس مراتب مفصلة:

1 .المرتبة الأولى: النبوة

2 .المرتبة الثانية: إنذار قومه

3 .المرتبة الثالثة: إنذار عشيرة الأقربين

4 .المرتبة الرابعة: إنذار القوم الذين لم يأتهم نذير من قبل، وهم العرب كافة

5 .المرتبة الخامسة: إنذار من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر

أما الإمام أبو زهرة فقد قسم الدعوة إلى ثلاث مراحل:

1 .بيت النبوة: دعوة الأقرباء والأصدقاء المقربين بشكل خفي.

2 .ذوو العشيرة: دعوة أهل النبي ﷺ وأقربائه.

3 .الدعوة العامة: دعوة قريش والعامة

كما صرح أحمد شلمي بأن الدعوة النبوية مرت بثلاث مراحل:

1 .الدعوة السرية

2 .دعوة بني عبد المطلب

3 .الدعوة العامة

وبدوره، قسم الدكتور رؤوف شلبي الدعوة إلى أربع مراحل:

1 .قم فانذر: مرحلة الدعوة السرية.

2 .وأنذر عشيرتك الأقربين: بداية الدعوة العلنية.

3 .لتنذر أم القرى ومن حولها: توجيه الدعوة إلى القبائل العربية في مكة ومحيطها كما ذكر الطبري.

4. لتخرج الناس من الظلمات إلى النور: بداية الدعوة العالمية، لتشمل جميع البشرية برسالة الحق.

8 .الدراسات الحديثة حول مراحل الدعوة النبوية

اتبعت الدراسات الحديثة للسيرة النبوية نفس المنهج والأسلوب في دراسة مراحل الدعوة النبوية، وقدمت دراسات تفصيلية وتحليلية. وقد قسم الباحثون السيرة النبوية إلى فترتين أساسيتين:

1 .العهد المكي للنبوّة

2 .العهد المدني للنبوّة

ثم قاموا بتحليل كل فترة على حدة لدراسة النسق الدعوي للنبي ﷺ. وقد أُلفت عدة كتب في هذا النهج والأسلوب باللغة العربية، ومن أبرزها:

الدكتور رؤوف شلبي:

الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها

الدعوة الإسلامية في عهدها المدني: مناهجها وغاياتها

على بن جابر الحربي: منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية

عبد الوهاب كحيل: الجوانب الإعلامية في حياة الرسول ﷺ: مرحلة الإعداد والممارسة في مكة

الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة

William Montgomery Watt: Muhammad at Mecca وMuhammad at Medina

حمود بن جابر الحارثي: منهج الدعوة والعمل في المرحلة المكية

الطيب برغوث: منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية

أحمد غلوش أحمد: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي

جمعة علي الخولي: فقه الدعوة: دراسة موضوعية لسيرة الدعوة ومنهجها في العهد المدني

الدكتور منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية

على رضوان أحمد الأسطل: الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي

أما الباحثون الذين تناولوا الدعوة النبوية جزئيًا أو ركزوا على مراحل الدعوة كأساس للبحث، فهم:

العلامة شبلي نعماني،سيد سليمان ندوي،قاضي محمد سليمان سلمان منصوربوري،مولانا حفظ الرحمن سيوهروى، مولانا سيد أبو الحسن علي ندوي،الدكتور محمد حميد الله،مولانا أمين احسن اصلاحى،جناب طالب هاشمي،مولانا وحيد الدين خان،الدكتور اسرار احمد،جناب خالد مسعود،الدكتور فضل الإلهي.

كما كتب كل من:

سيد أبو الأعلى مودودي،مولانا صفي الرحمن مباركپوري،مولانا محمد يوسف اصلاحى،الدكتور ياسين مظهر صديقي

تفصيلًا عن دعوة النبي ﷺ، أسلوب الدعوة، ومراحل الدعوة.

من الجدير بالذكر أن مراجعة جميع الدراسات حول الجانب الدعوي في السيرة تعتبر مهمة ضخمة، ولكن يمكن تقديم بعض الأمثلة البارزة:

منهج علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية الدعوية: دراسة تحليلية في الأصول والأساليب

1 .سيد أبو الأعلى مودودي (1903–1979م):

ألف كتاب سيرة سرور عالم (المجلد الثاني)، الذي ركز على عهد النبوة.

يُعد هذا الكتاب من أبرز الكتب التي تناولت الاتجاه الدعوي في السيرة باللغة الأردية، ويحتوي على أربعة عشر بابًا تفصيليًا، في المراحل المبكرة للعهد المكي ويتناول الكتاب حياة النبي ﷺ الدعوية منذ مولده وحتى بداية الرسالة، ويشرح بالتفصيل نسب النبي ﷺ ومكانته، مرحلة الولادة حتى بداية النبوة، بداية الرسالة والدعوة السرية خلال السنوات الثلاث الأولى، التوجيهات الربانية التي أُمرت للنبي ﷺ في سبيل نشر الدعوة، طبيعة الدعوة الإسلامية الحقيقية، بداية الدعوة العلنية،خطط قريش لوقف

الدعوة الإسلامية، الهجرة إلى الحبشة، وتغطي الفصول من الرابع حتى التاسع مراحل الدعوة المختلفة للنبي ﷺ بالتفصيل. والفصل الثاني عشر يركز على دعوة قبائل العرب في مكة. والفصل الرابع عشر والأخير يقدم مراجعة شاملة للعهد المكي.

الفصل الرابع: بداية الرسالة والدعوة السرية خلال السنوات الثلاث الأولى (ص 129–162)

وفقًا لسيد أبو الأعلى مودودي:

بدأت النبوة بنزول أول خمس آيات من سورة العلق. و بعدها، أكملت الرسالة بنزول أول سبع آيات من سورة المدثر، حيث أمر الله ﷺ بالدعوة وأعطاه التوجيهات المتعلقة بها.

وقد قام مودودي بتحليل هذه التوجيهات الإلهية تفصيليًا، ويُعد هذا التحليل من أبرز الأعمال التحليلية الحديثة ([17]) بينما ذكرها باقي علماء السيرة بشكل محدود جدًا ([18]).

كما قسم مولانا مودودي العهد المكي إلى مراحل دعوية، مع التركيز على الدعوة السرية لمدة ثلاث سنوات، وقد قدم تحليلًا دقيقًا مستندًا إلى الحديث والسيرة والتفسير.

كتب مودودي عن حكمة الدعوة السرية:

"لقد علم الله تعالى نبيه ﷺ حكمة الدعوة، فلم يبدأ بالظهور العام والإعلان المباشر عن النبوة، بل عمل خلال السنوات الثلاث الأولى بطريقة سرية، يصل من خلالها الإسلام إلى القلوب المستعدة لقبول التوحيد وترك الشرك، مع اختيار من يمكن الوثوق بهم للحفاظ على سرية هذه الحركة حتى يأذن الله بالبدء بالدعوة العلنية والواضحة." ([19])

ويرى الدكتور ياسين مظهر صديقي أن:

"مولانا مودودي ربما يكون العالم الوحيد في العصر الحديث باللغة الأردية الذي تناول تحليل الروايات والسيرة بعمق. وقد أشار إلى تأسيس دار الأرقم كمركز للتعليم والدعوة، موضحًا أسبابه والسياق التاريخي والوقت المناسب لتأسيسه. يعتقد مودودي أن دار الأرقم تم إنشاؤه بعد نحو سنتين ونصف ليكون مركزًا للدعوة والتعليم، حيث يمكن تدريب الدعاة وتنظيم الجهود الدعوية بشكل منهجي. بلا شك، يُعد هذا تحليل نادر ومتميز للسيرة لا يمكن أن يقدمه إلا مفكر بارز مثل مولانا مودودي." ([20])

جميع علماء السيرة، القدماء والحديثون، عادة ما يبدأون باب الدعوة العامة بدعوة الأقربين، بينما مودودي يختلف عنهم:

بعد تحليل الروايات والأدلة، أثبت أن أول ظهور للإسلام العلني كان حين صلى النبي ﷺ في الحرم المكي صلاة تختلف عن صلوات قريش، وكانت صلاة خالصة للإسلام. هذه الصلاة أثارت ردود فعل شديدة لدى أعداء الدين مثل أبي جهل، كما جاء ذكره في سورة العلق، الآيتان 6–19.

نقل مودودي جميع الروايات المتعلقة بمحاولات أبي جهل لمنع النبي ﷺ من الصلاة، وقدم تحليلًا دقيقًا وقيمًا.

مراحل الدعوة العامة بحسب مودودي

1 .دعوة الأقربين: الخطوة الثانية، وليست الأولى، إذ ركزت على الأسرة والأقارب.

2 .دعوة جميع قبائل قريش: بدأت بخطبة في جبل صفا، وتمت دراسة الروايات المتعلقة بها بدقة.

كما تناول مودودي دور أعداء الدعوة العامة مثل: أبي لهب من هاشم وأبي جهل من مخزوم.

وقدم تحليلاً شاملًا لسلوكهما وألاعيبهما ومخططاتهما، مع تسليط الضوء على أعمالهما المليئة بالعداء للإسلام، مما أظهر صورة تاريخية دقيقة لهؤلاء الأعداء خلال مرحلة الدعوة العامة.

عرض مولانا مودودي في الباب الخامس التفصيل الكامل للتوجيهات الإلهية التي أُعطيت للنبي ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله، والتي تضمنت: الاعتبار بالحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة، واتباع أسلوب هادئ وجاد في تبليغ الحق، وتوضيح مقام الداعي ومسؤولياته، وتبليغ الدعوة بأسلوب سهل وفعّال، وأصول المناظرة والمجادلة، والدعوة في بيئة عدائية، ومواجهة الشر بالإحسان، وأهمية الصبر في الدعوة.

يقول مولانا مودودي:

" في البداية، تم تزويد النبي ﷺ بالتوجيهات الضرورية فقط، والتي كانت تركز على ثلاثة محاور أساسية:

١ .تعليم النبي ﷺ كيفية إعداد نفسه لهذا العمل العظيم وطريقة أدائه.

٢ .تقديم المعلومات الأساسية حول حقيقة الأمر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي كانت شائعة بين الناس، والتي أدت إلى تصرفاتهم الخاطئة.

٣ .الدعوة إلى السلوك الصحيح، وبيان المبادئ الأخلاقية الأساسية التي تقود إلى فلاح الإنسان وسعادته"([21]).

في الباب السادس (ص 191–512)، ناقش مولانا مودودي:

عن الطبيعة الحقيقية للدعوة الإسلامية، وأسباب عداوة المشركين، وأسباب فشلهم في مواجهة الدعوة.

وتضمن هذا التحليل:

دعوة إلى التوحيد ونفي الشرك،

الإيمان برسالة محمد ﷺ،

الإيمان بالقرآن ككلام الله،

الإيمان بالآخرة،

التعليمات الأخلاقية،

تأسيس أمة مسلمة عالمية،

التمييز بين منهج النبي ﷺ ومنهج غير النبي.

وفي الباب السابع، تناول مولانا مودودي سرد أحداث الدعوة العامة، وفي الباب الثامن، استعرض مخططات قريش لعرقلة الدعوة وتفاصيلها.

وأشار مودودي إلى أن موقف جميع قادة قريش وعامة الناس لم يكن موحدًا، بل قسمهم إلى:

1 .أشد المعارضين

2 .المعارضين الناعمين

وقدم دراسة تحليلية شاملة لردود أفعال كل فئة وتأثيرها على مسار الدعوة في مكة. ويقول:" كانت مواقف أهل مكة العامة متباينة تجاه الدعوة الإسلامية، بعضهم محايدون ولم يتخذوا موقفًا واضحًا، وبعضهم أُقنعوا بالإسلام في قلوبهم لكنهم أخفوا إيمانهم، وبعضهم كان يعتنق الإسلام تدريجيًا. وأغلبهم كان يتبع زعماءهم في الدفاع عن الدين الأباوي والانخراط في المؤامرات ضد الإسلام([22]) .

قسم مولانا مودودي تدابير قريش إلى فصول متعددة وقدم دراسة تحليلية مفصلة، منها:

1 .محاولات الصلح مع النبي ﷺ:

استعرضت هذه الدراسة اللقاءات والمقترحات الصلحية لأكبر قادة قريش مثل عقبة بن ربيعة، أبو طالب الهاشمي، والوفود الأولى والثانية لقريش.

2 .محاولات الضغط على أبي طالب:

شملت الدراسة وفود قريش والمبادرات الاجتماعية والاقتصادية للضغط على أبي طالب،وذكر بالتفصيل أربع وفود مختلفة، بالإضافة إلى مؤامرة قتل النبي ﷺ بقيادة أبو جهل المخزومي والتهديدات الجماعية لقريش.

3 .السلوكيات الدنيئة لقريش:

استخدمت قريش وسائل اجتماعية مختلفة لإحباط دعوة النبي ﷺ، مثل: محاولة إجبار السيدة زينب على الطلاق،

التهليل والتباهي بموت الفرزند النبوي قاسم، السخرية من القرآن عند تلاوته، محاولات تحريف القرآن،استدراج المسلمين للجدل العقيم، التحقير والإساءة للمسلمين، تضليل الجاهلين وغير المطلعين([23]) .

رغم كل هذه المؤامرات، أثمرت تدابير قريش أثرًا عكسيًا: كانوا يعتقدون أن هذه الإجراءات ستؤدي إلى إضعاف النبي ﷺ والقرآن، ولكنها في الواقع نشرت اسم النبي الكريم وشهرته في كل أرجاء

العرب، وبلغت شهرته مستويات لم تتمكن جهود المسلمين لسنوات طويلة من تحقيقها، حتى أن بعض الناس أصبح لديهم الفضول لمعرفة شخصية هذا النبي الذي يثار حوله كل هذا الجدل والخوف. وبهذه الطريقة، بدأت الدعوة تنتشر إلى خارج مكة وإلى مناطق أخرى في الجزيرة العربية، وانتشرت فكرة الإسلام إلى قلوب الناس بعيدًا عن مركز الدعوة الأصلي.بفضل هذه المرحلة، انفتح الطريق أمام انتشار الإسلام إلى خارج مكة، مما أتاح وصول رسالة الدعوة إلى بقية الجزيرة العربية.

في المجلد الثاني من سيرة "سرور العالم" لمولانا مودودي، يحمل الفصل الثاني عشر عنوان: "السنوات الثلاث الأخيرة من مكة ." يتناول هذا الفصل رواية الدعوة إلى ثلاث عشرة قبيلة حول مكة، ويقدّم تحليلًا بصيرًا لدورة مكة النبوية الأخيرة،

بحسب الدكتور يسين مظهر صديقي، مولانا مودودي هو الكاتب الوحيد بين معاصري السير الحديثة باللغة الأردية الذي خصص فصلًا كاملًا (الفصل 12) للسنوات الثلاث الأخيرة في مكة، مُرتّبًا بطريقة تحليلية دقيقة، وموضحًا الأحداث والظروف التاريخية بتفصيل لم يسبقه إليه أحد، مع فهم عميق وبصيرة نادرة([24]) .

الرحيق المختوم ومراحل الدعوة النبوية

الكتاب الثاني البارز في السير الأردية، الذي يعكس اتجاه الدعوة الإسلامية، هو "الرحيق المختوم" لمولانا صفي الرحمن مباركبوري:(1942-2006)

رتّب المؤلف السيرة بالتسلسل الزمني، وتناول التفاصيل التاريخية لنشر الإسلام، وقسّم الحياة الدعوية للنبي ﷺ إلى مراحل وأدوار.ويكتب مولانا: " يمكننا تقسيم حياة النبي ﷺ إلى جزئين متمايزين بشكل كامل ومميز":

١ .الحياة المكية: نحو ثلاثة عشر عامًا

٢ .الحياة المدنية: نحو عشرة أعوام

وكل جزء ينقسم إلى عدة مراحل تختلف في خصائصها وأدوارها.

مراحل الحياة المكية بحسب مولانا مباركبوري

1 .مرحلة الدعوة السرية: ثلاثة أعوام (من بداية النبوة حتى السنة الثالثة)

2 .مرحلة الدعوة العلنية بين أهل مكة: من السنة الرابعة حتى أواخر السنة العاشرة

3 .مرحلة انتشار الإسلام خارج مكة: من أواخر السنة العاشرة حتى الهجرة إلى المدينة(40) .

وفي هذا الإطار، تم عرض مراحل الدعوة النبوية كاملة في الكتاب:

المرحلة الأولى: تحت عنوان جهود الدعوة السرية، سجل المؤلف إيمان أوائل المؤمنين واستجابتهم لدعوة الحق.
المرحلة الثانية: تحت عنوان الدعوة العلنية، يشمل الأمر الأول بالإظهار، الدعوة بين الأقارب، خطب جبل الصفا، والدعوة بالحق في مكة.

تحت عنوان "الإعلان الجلي واستجابة المشركين"، قدم مولانا صفى الرحمن مبارک پورى بتحليل دقيق للآيات القرآنية، والأحاديث، وروايات السيرة النبوية:

تناول صبر وثبات الصحابة الأوائل، مع بيان أسباب هذه الصبر وثباتهم، ومن أبرزها:

١ .الإيمان بالله الواحد ومعرفته التامة،

٢ .الجاذبية القيادية للنبي ﷺ .

يكتب مولانا مبارك پورى:

"النبي ﷺ لم يكن قائدًا للأمة الإسلامية فقط، بل هو أرفع قائد ومرشد للبشرية جمعاء، يتمتع بكمالات جسدية وجمالية ونفسية وأخلاقية عالية، وشخصية عظيمة وعادات شريفة، حتى أن القلوب كانت تنجذب إليه تلقائيًا، والطبائع تُنقاد له من دون إجبار. لقد كان له نصيب وافر من الفضائل التي لم تُمنح لأحد غيره، وكان ظاهرًا في الشرف والعظمة والكمال، حتى أن أصدقائه وأعداؤه على حد سواء لم يشكّوا في تميّزه ووحدانيته([25]) ".

حدّد مولانا مبارك پورى المرحلة الثالثة من الدعوة المكية على أنها الدعوة خارج مكة، تضمّنت زيارة النبي ﷺ لطائف، وتعرض للظلم وسوء المعاملة من أهل طائف، وفي طريق العودة، ذُكر قبول بعض الجن لدعوة الحق في وادي نخلة،

كما تم عرض تفاصيل القبائل والأفراد الذين زارهم النبي ﷺ، ونتيجة لذلك، قبل ستة من الأنفس الصالحة في يثرب الإسلام، مما مهد الطريق لنشر الدعوة خارج مكة.

قسم مولانا مبارك پورى الحياة المدنية للنبي ﷺ إلى ثلاث مراحل:

1 .**المرحلة الأولى**:

انتشار الفتن والاضطرابات،

مواجهة العقبات الداخلية والخارجية،

تنتهي هذه المرحلة بصلح الحديبية في ذي القعدة.

2 .**المرحلة الثانية**:

الصلح مع قيادة المشركين،

تنتهي بـ فتح مكة في رمضان،

تشمل أيضًا مرحلة عرض الدعوة على الملوك والزعماء.

3 .المرحلة الثالثة:

دخول خلق الله جماعات في دين الله،

وصول الوفود من القوم والقبائل إلى المدينة،

تمتد هذه المرحلة حتى نهاية ربيع الأول من حياة النبي ﷺ المباركة. ([26])

و قسم مولانا صفى الرحمن مبارک پورى المرحلة تحت عنوان "التغيير الجديد"، مع التركيز على الآثار الدعوية لصلح الحديبية، فيقول:"في هذه المرحلة من الأمن التي بدأت بعد صلح الحديبية، حصل للمسلمين فرصة مهمة لنشر الدعوة الإسلامية وتعليم الناس، لذا تسارعت أنشطتهم في هذا المجال حتى غلبت على الأنشطة العسكرية. لذلك سيكون من المناسب تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين:

١. الأنشطة الدعوية وخطوط الرسائل الموجهة إلى الملوك والزعماء،

٢. الأنشطة الحربية." ([27])

ويشير مولانا مبارک پورى إلى أن عرض الأنشطة الحربية يجب أن يسبق بتفاصيل الرسائل المرسلة إلى الملوك والزعماء، لأن الدعوة الإسلامية هي الأصل والأساس، وهي السبب الذي تحمل المسلمون من أجله المصاعب، والحروب، والفتن، والاضطرابات.

ويرى مولانا مبارک پورى أن المرحلة الثالثة والأخيرة من الدعوة المدنية تمثل نتائج الدعوة التي حققها النبي ﷺ بعد:

حوالي ٢٣ سنة من الجهد الطويل، والمصاعب والمشقات، والفتن والاضطرابات، والحروب والمعارك الدموية.

وقد عنون هذه المرحلة بـ "نجاح الدعوة وآثارها"، فيقول: "بفضل هذه الدعوة تحققت الوحدة العربية، والوحدة الإنسانية، والعدل الاجتماعي. واهتدت البشرية إلى سبيل السعادة في شؤون الدنيا والآخرة. بمعنى آخر، تغير مسار الزمان، وتحولت الأرض، وانقلب مجرى التاريخ، وتغيرت طرق التفكير." ([28])

منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية

قام الأستاذ الدكتور الطيب برغموت (1951م) بدراسة دعوة النبي ﷺ في المرحلة المكية من منظور دعوي، في كتابه:

منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، ويشرح هدفه ومنهجه قائلاً:

"سعيت، انسجامًا مع طبيعة الموضوع وأهدافه، إلى تجاوز المنهج السردي التاريخي للأحداث الذي سيطر على كثير من الدراسات السابقة، للاستفادة من المنهج التحليلي. فغايتي ليست كتابة

كتاب جديد للسيرة بأسلوب التسجيل التاريخي لوقائع الحركة النبوية وأحداثها، بل محاولة تحليل منهجي لفهم كيفية حماية الدعوة وتحقيق منجزاتها."

ويؤكد المؤلف أن الهدف الأساسي من دراسة منهج الدعوة النبوية هو الكشف عن القواعد المنهجية المتناسقة وراء هذه الحركة، والتي تم إخراجها بأسلوب محكم، حافظ على المضمون الرسالي للدعوة وحمى منجزاتها. ([29])

هيكل الكتاب

يتكون الكتاب من ثلاثة أبواب رئيسية:

1. الباب الأول: غاية الدعوة الإسلامية وخصائصها المبدئية الكبرى

يتضمن فصلين:الفصل الأول: غاية الدعوة الإسلامية وآفاق انتشارها الكونية.الفصل الثاني: أهم خصائص الدعوة الإسلامية.

2. الباب الثاني: طبيعة المرحلة المكية وأهداف الدعوة فيها

يناقش هذا الباب البيئة الدعوية في مكة، بداية الدعوة، وأهداف الدعوة في المرحلة المكية.

3. الباب الثالث: التحديات التي واجهتها الدعوة في المرحلة المكية ومنهج مواجهتها

يستعرض هذا الباب المصاعب والتحديات التي تعرض لها النبي ﷺ وأصحابه خلال الدعوة في مكة.

وقد استند المؤلف في تحليله إلى تفاسير معاصرة مثل: في ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير التحرير والتنوير، ومحاسن التأويل لابن عاشور،وأعمال القاسمي.كما استفاد من كتب سيرة حديثة مثل: حياة محمد لمحمد حسين هيكل، محمد رسول الله، الصادق عرجون، الرحيق المختوم لمولانا صفى الرحمن مبارک پوری، والمنهج الحركي للسيرة النبوية للدكتور منير الغضبان.

وسائل ومراكز الدعوة في مكة

يولي المؤلف اهتمامًا خاصًا بـ وسائل الدعوة ومراكزها في مكة، مثل: بيت النبي ﷺ: كان المركز الدعوي الأول، حيث كان يحضر إليه أوائل المسلمين لتلقي الدعوة والتربية، ومن بينهم: عمار بن ياسر وأسرته، وصهيب الرومي، وأبو بكر الصديق وأصحابه. وقد تم تربية هؤلاء الرفقاء على يد النبي ﷺ، واستفادوا من توجيهاته المباشرة. ([30])

إسهامات الدكتور ياسين مظهر صديقي في الدراسات السيرية

يعتبر الدكتور ياسين مظهرصديقي من رواد المنهج التحليلي والاستقصائي في الأدب السيري الحديث باللغة الأردية:

استفاد من القرآن الكريم، والحديث والسنة، والسير النبوية، والتفاسير، وكتب التاريخ.وأبدع في دراسة الجوانب الفقهية، الاجتماعية، الحضارية، الاقتصادية، السياسية، الدينية، والدعوية لسيرة النبي ﷺ. وركز على مراحل الدعوة النبوية ومنهجها التحليلي، وجعلها موضوعًا بحثيًا خاصًا.

يوضح المؤلف كيفية اعتماد النبي ﷺ لأسلوبين رئيسيين في نشر الدعوة الإسلامية خلال مرحلته المكية، تحت عنوان: "أسلوبان في الدعوة"

1 .أسلوب الدعوة السرية (الخفيّة)

2 .أسلوب الدعوة العلنية (البيّنة والمباشرة)

يشير المؤلف إلى أن هذين الأسلوبين ليسا مرحليين عارضين، بل هما دائمان وأبديان، مع مبدأ التعاقب واللازم والملزم، أي أنه يجب أن يُتبع الأسلوب الخفي أولًا، ثم الأسلوب العلني بعد نجاح الأول.

الهدف من الدعوة السرية:

زيادة أعداد المؤمنين تدريجيًا دون إثارة ضغائن أو مقاومة قوية من المجتمع غير المسلم.

تفادي الفوضى والاضطراب الذي قد ينشأ من إعلان الدعوة المبكر في مجتمع غالبه غير مسلم.

الحكمة الإضافية: هذا الأسلوب كان معمولًا به أيضًا من قبل الأنبياء السابقين.

النبي ﷺ استمر في الدعوة السرية ثلاث سنوات كاملة، متجنبًا الإعلان المباشر، لضمان:

1 .توسيع قاعدة أتباع الإسلام تدريجيًا.

2 .تجنب صدام مباشر مع قريش والمجتمع المكي الذي كان غالبه غير مسلم.

نتائج الدعوة السرية

تشير المصادر والروايات إلى أن الدعوة السرية كانت ناجحة ومثمرة:

أعداد المسلمين تزايدت تدريجيًا خلال هذه الفترة الثلاثية في مكة.

لم تكن الدعوة خفية تمامًا عن القادة وكبار قريش، بل كان العامة أيضًا على اطلاع على هذه الدعوة، إلا أنهم تجنبوا مواجهة النبي ﷺ ومؤازرة المعارضة في هذه المرحلة.

وفقًا لرواية ابن إسحاق، أسفر أسلوب الدعوة السرية عن إقبال كثير من مكيي النخبة على الإسلام، وأصبحت هناك مجموعات من الرجال والنساء تدخل الإسلام تدريجيًا، حتى بدأ ذكر الإسلام يتداول في مكة([31]) .

يتناول المؤلف بعد ذلك وسائل الدعوة وطرقها التي اتبعها النبي ﷺ وأصحابه خلال المرحلة الأولى من النبوة، بما في ذلك:

التعليم والتربية المباشرة للأوائل من الصحابة في بيت النبي ﷺ.

الخطاب والإرشاد الروحي الفردي والجماعي.

الأسلوب التربوي والوعظي القائم على الحكمة والموعظة الحسنة.

يشير المؤلف إلى أن النبي ﷺ اعتمد جميع الوسائل المتاحة والأخلاقية في نشر الدعوة الإسلامية خلال المرحلة المكية، ومن أبرز هذه الوسائل ما يلي:

1 .اللقاء الفردي والجماعي:

لقاء الأفراد والطبقات المختلفة وإقراء القرآن عليهم، والوعظ والإرشاد للتوضيح والفهم.

2 .المجالس العامة:

حضور المجالس والملتقيات غير الإسلامية، وتلاوة القرآن الكريم فيها، والاستفادة من الفرص للتأثير بالحسنى.

3 .الحوار مع كبار القوم:

النقاش والمحادثة مع سادات وقادة القبائل، لنقل رسالة الإسلام إليهم مباشرة.

4 .الضيافة وإقامة الولائم:

دعوة الأقارب والأصدقاء وكبار القوم إلى الطعام والشراب لإقامة مجالس ودية تُعرفهم بالإسلام وتؤثر في نفوسهم.

5 .الهدايا والعطايا:

تقديم الهدايا والامتيازات لكسب ودهم وفتح القلوب لهم.

6 .خدمة المجتمع:

التأثير من خلال الخدمة العامة وتعزيز مكانة الأخلاق الإسلامية والاعتراف بعظمة السلوك الإسلامي.

7 .التعاون والتفاعل الاجتماعي:

تقريب الناس إلى الدين من خلال التعاون المجتمعي، وإظهار الإسلام كدين للسلام والأمن والوئام.

8 .القيم التجارية والاجتماعية:

إظهار الحقيقة الإسلامية وسمو الأخلاق في العلاقات التجارية والاجتماعية لإقناع الآخرين بحقانية الإسلام وعلو مقام المسلم.

9 .الرد على الاعتراضات:

دحض الاعتراضات العلمية والأخلاقية على الإسلام، وتقديم إجابات واضحة وبأسلوب حكيم.

10 .إبراز الخير والحق في الإسلام:

إظهار أن الإسلام خير للإنسانية، وتعزيز الثقة لدى المخاطبين في سبيل نجاتهم الدينية والدنيوية(50) .

الدعوة النبوية بعد تأسيس الدولة

بعد تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة، أسند النبي ﷺ إدارة الدعوة إلى السلطات والمؤسسات الرسمية لضمان استمرار إشاعة الدعوة ونشر تعاليم الإسلام.

الهدف كان استمرار الدعوة التربوية والإصلاحية إلى جميع أفراد المجتمع، بما في ذلك الخلفاء والولاة(51) .

منهجية الدعوة النبوية

من خلال دراسة كتب السيرة والأحاديث، يتضح أن النبي ﷺ كان يراعي في دعوته خصائص المخاطبين:

القدرات العقلية والجسدية.

الطبيعة الفطرية والمزاجية.

التدرج في استيعاب الحقائق الدينية.

وهذه المبادئ تشكل الأساس المنهجي للدعوة النبوية، والتي ما زالت موضوع بحث ودراسة في علوم السيرة الحديثة.

الخاتمة

يتّضح مما تقدّم أنّ منهج علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية الدعوية قد جاء ثمرةً لتجربة تاريخية ومعرفية وروحية متميّزة، امتزج فيها العمق العلمي بالوعي الدعوي، والتأصيل النظري بالتطبيق العملي. فقد تعامل هؤلاء العلماء مع السيرة النبوية بوصفها منهجاً إصلاحياً متكاملاً، وليس مجرد سرد للأحداث التاريخية أو الوقائع الجزئية.

لقد تميّزت جهودهم في عدّة جوانب:

1. الجمع بين الأصالة والمعاصرة: حيث لم يكتفوا بنقل أحداث السيرة، بل سعوا إلى ربطها بواقع الأمة في عصورهم، مستخرجين منها القواعد الدعوية التي تصلح لمواجهة التحديات الفكرية والاستعمارية والثقافية.

2. إبراز البعد التربوي والإصلاحي للسيرة: فقد جعلوا من شخصية الرسول ﷺ نموذجاً تربوياً متكاملاً، يستلهم منه الدعاة والخطباء والمصلحون منهج التربية على العقيدة، والأخلاق، والوعي بالواقع، وحسن التعامل مع المخالف.

3. التركيز على الأسس الدعوية: من التدرّج في الدعوة، والبدء بالأصول قبل الفروع، والحكمة والموعظة الحسنة، والصبر على الأذى، إلى جانب إبراز الجانب العملي للدعوة من خلال السلوك والأخلاق.

4. توسيع دائرة الإفادة من السيرة: حيث لم يحصروا جهودهم في الجانب الديني فحسب، بل أشاروا إلى البعد الحضاري والثقافي للسيرة، وكيف أنّها أسست لنهضة شاملة في مختلف الميادين.

5. الرد على الشبهات: فقد انبرى علماء شبه القارة إلى تفنيد شبهات المستشرقين والخصوم الفكريين، مستندين في ذلك إلى نصوص السيرة وأحداثها الموثوقة، مما جعل كتاباتهم ذات طابع دفاعي إصلاحي في آن واحد.

ومن خلال هذه الملامح، نستطيع القول بأنّ جهود علماء شبه القارة لم تكن مجرّد إضافات جزئية إلى المكتبة الإسلامية، بل كانت مدرسة قائمة بذاتها في كتابة السيرة النبوية الدعوية، لها سماتها الخاصة وميزاتها الواضحة.

إنّ السيرة النبوية ستبقى – بما تحمله من قيم دعوية وأخلاقية وحضارية – المصدر الأصيل الذي تستمد منه الأمة منهجها الإصلاحي، وحركتها التربوية، ورسالتها العالمية. وهي دعوة متجددة للدعاة والمفكرين والمصلحين إلى أن يعيدوا قراءة السيرة، لا من منظور تاريخي جامد، بل من منظور دعوي حيّ، قادر على مخاطبة الواقع واستيعاب متغيراته.

النتائج

وفي ضوء ما سبق، يمكن التأكيد على جملة من النتائج:

أنّ علماء شبه القارة قدّموا نموذجاً متكاملاً في الكتابة الدعوية للسيرة، يجمع بين العلم والعمل.

أنّهم أسهموا في تحصين الأمة ضد الغزو الفكري والاستعماري من خلال العودة إلى السيرة.

أنّ منهجهم الدعوي ما زال قادراً على أن يكون منطلقاً للدعاة المعاصرين في مواجهة التحديات الجديدة، شريطة أن يُقرأ بروح زمانه.

وبذلك تبقى السيرة النبوية الدعوية – في منهج علماء شبه القارة – مشروعاً متجدداً للإصلاح والنهضة، يُعيد للأمة وعيها، ويصل حاضرها بماضيها، ويفتح أمامها آفاق مستقبلها الحضاري.

.....

الهوامش

[1]- النساء،4:165

[2]- آل عمران،3:110

[3] – محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، انتشارات إسلامي، تهران.

[4] – نفس المصدر.

[5] – آل عمران،3:110

[6] – آل عمران،3:114

[7] – التوبة، 9:71

[8] – الترمذي، رقم الحديث:2657

[9] – مولانا وحيد الدين خان، فكر إسلامي، ص:60، دار التذكير، لاهور

[10] – يوسف، 12:108

[11] – دليل الرسائل الجامعية والبحوث المحكمة في علم الدعوة الإسلامية،www.dawabooks.com

[12]– لطف الرحمن فاروقي، دليل الدعوة، إدارة تحقيقات إسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

[13] –الأحزاب، 33:45

[14] – المائدة، 5:67

[15] –آل عمران، 3:31

[16] – الجوزي، علامة ابن قيم ،زاد المعاد في هدي خير العباد، ج:1،ص:86

[17] – مودودي، سيد أبو الأعلى، سيرت سرور عالم، ص:147، إدارة ترجمان القرآن، لاهور

[18] – مباركبوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص:104، المكتبة السلفية، لاهور

[19] – سيرت سرور عالم، ص:154

[20] – رفيع الدين هاشمي، أبو الأعلى مودودي علمي و فكري مطالعة، ص:82–84، إدارة معارف إسلامي، لاهور

[21] – سيرت سرور عالم، ج:2، ص:165–166

[22] – سيرت سرور عالم، ج:2، ص:516

[23] – سيرت سرور عالم، ج:2، ص:515–532

[24] – أبو الأعلى مودودي علمي و فكري مطالعة، ص: 59

[25] – الرحيق المختوم، ص:169–170

[26] – الرحيق المختوم، ص:243

[27]– نفس المصدر، ص:475

[28]– نفس المصدر، ص:613

[29] – د. طيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، الولايات المتحدة الأمريكية.

[30] – منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، الولايات المتحدة الأمريكية.

[31] –د. يسين مظهر صديقي، مكي أسوة نبوي: مسلم اقليتون كي مسايل كا حل، ص:52